الزمن الهارب

مجموعة قصصية

رنا الشرقاوي

اسـم الكتـاب: الزمن الهارب
اسـم المؤلـف: رنا الشرقاوي
الترقيم الـدولي: 978-2-12-345630-8

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع © محفوظة لدار المحرر الأدبي للنشر والتوزيع المشهرة برقم 24821 بتاريخ 2015/10/1. ومقرها جمهورية مصر العربية / محافظة الجيزة.
وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون موافقة قانونية مكتوبة من الناشر يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

إهداء

إلى شقيقتى د/ إيمان الشرقاوى، من اقتسمت معها أحلام الصبا.

إلى صديقتى / كريمان رشاد، لعل الحلم يكتمل فيكتبنا صديقتين على جدران الزمن.

إلى عمى د/ السيد الشرقاوى، هكذا وبدون تلك العبارات المنمقه التى يخطها القلم أحياناً فقد استحت أحرفى أن تكتبك سيدي.

مقدمة

أود أن أعترف فى البداية أننى لا أفضل ولا أميل إلى كتابة المقدمات النقدية، فهي تمثل في تصوري حاجز ما بين القارئ والعمل الأدبي الذى أقبل على قراءته، خاصة إذا كان العمل كالذي بين أيدينا الآن.

فهي من نوعية الأعمال الأدبية التي لا تحتاج إلى من يقدمها للقارئ، حيث تفرض نفسها بسلاسة واختلاف يظهر بداية من الاسم الذى اختارته الكاتبة لعملها، ومروراً بقصص المجموعة.

فإليك عزيزي القارئ أقدم مجموعة من القصص المتنوعة والمختلفة عما قرأته قبلاً؛ فكل قصة هنا عالم قائم بذاته يسحبك ببساطة داخله، فتجد نفسك أسير قلم قاصة تمردت على الصورة النمطية التي تقدمها الكاتبات عادة فى مجتمعنا العربي، لتخلق نصاً مغايراً لا يعترف بجنس كاتب أكثر مما يعترف بعبقرية أسلوبه الأدبي...

كريمان رشاد

المرآة وصديقاتي النجمات

ألتحف بظلام الليل فوق سطح المنزل وحيدة كعادتي، أداعب النجوم في السماء، فألمسها بإصبعي من بعيد، أغادر مسرعةً على صوت والدتي تناديني، فقد حان ميعاد نومي، أمشط شعري بسرعةٍ قبل أن تطفأ أنوار المنزل، أنظر في الصورة العكسية للمرآة، أرى النجوم وهي تتلألأ من شباك الغرفة المفتوح يتشوقن لعودتي ويرغبن في استمرار اللعب معي فأودعهن بسرعة قبل أن تسدل والدتي الستائر، صوت قريناتي لازلن يَلْهون في الشارع تحت الأضواء الخافتة، تعاودني رغبة في اللعب معهن، أتذكر نصيحة أمي بالبعد عن مصادقة بنات الشوارع مثل أميرة، ومنى، ونيرمين أعز صديقاتي، لم تكن بذيئاتٍ للدرجة التي وصفتها لي أمي، أتذكر حديثي معهن من الشباك فتؤلمني وكزة ذراعها وهي تغلق النافذة في وجوههن فأهمس معاتبة لها في خجل، أنتظر الصباح لتشتبك أصابعي في أصابعهن ونحن ذاهبات إلى المدرسة، يتبادلن حديثاً خاصاً يتعلق بالصبايا المراهقات، أخجل عن التورط معهن فيه وأشرد بذهني؛ فيهمسن متحدثات عني؛ فأنطوي مبتعدة عنهن، لأقف وحدي أتذيل طابور الصباح المدرسي، تردد التلميذات

النشيد الوطني فأتلعثم في كلماته، تدخل الطوابير الفصول فأجلس في الصف الأول الخاص بقصيرات القامة وتبدأ حصة الدراسات، فيسألني مدرس الجغرافيا مازحاً عن موقع وطني العربي على خريطة أوروبا، يحمر وجهي خجلاً وأحاول جاهدة البحث عن إجابة فتعلو ضحكات وقفشات قريناتي، أعود على الطريق إلى بيتي وحيدة لألحق بوجبة الغداء، وهنا على المائدة نجتمع لمرة واحدة في اليوم كأسرة، نحكي مجريات أهم الأحداث اليومية، ينتظر الجميع سماع صوتي فأحكي فقط ما حدث لي من إيجابيات وأتجاهل الأحداث السلبية، أقوم إلى مكتبي وأحاول جاهدة إنهاء واجباتي قبل ميعاد لعبي الليلي مع النجوم.

أجد نفسي الليلة غير راغبة في المذاكرة، أمسك بقلمي على غلاف كتابي اسجل حلمي وأحلام صديقاتي، أميرة تريد أن تصبح ثرية، بينما تتمنى نيرمين أن تكون مهندسة، أما منى فتريد ان تصبح كاتبة مشهورة، أما حلمي أنا فدقات عقارب الساعة تشير إلى انتهاء الوقت والآن يجب ان أخلد إلى النوم، سأسجله في وقت لاحق.

كان نومًا مؤرقًا، استيقظت ليلاً والظلام يلف المكان إلا بصيص ضوءٍ من ستائر البيت التي تغض بصري عن النجوم ..

فتحت الشباك، عدت لنجماتي عبر المرآة التي ودعتهن منها، أنظر إليهن في السماء، سرحانةً، أفكر بينما تتهلل روحي بانعكاسات أضواء النجوم المتلألأة حول صورتي في المرآة، تسمرت في مكاني، مرت سنة فأجتزت كل الامتحانات بنجاح إلا امتحان الجغرافيا.

مرت سنة أخرى فقدت بعدها كل صديقاتي، تبعتها سنوات عدة، فما كانت الساعات لتكف عن هرولتها ولا الأيام لتكف عن كثافة أحداثها إلا وأصبحت أميرة زوجة لأحد الأثرياء، ونرمين تدرس في كلية الهندسة بعد أن فشلت في السنوات الأولى بالطب، بينما كتبت منى رواية عن حكايتنا وفيها بحثت عن نفسي لأجدني ما زلت في مكاني ليلاً أحاول لمس النجمات في مرآتي فتمنعني صورة إنعكاس يدي في الإتجاه المعاكس بالمرآة، كنت بطلة الرواية وأضحت لكل منهن صديقات هن مرآتها.

في شرفة الورد

أمل هي الطفلة التي ارتوى النهر بدمائها في عصر الشهداء، هي نفسها الأم التي احتضنت طفولتها بين راحتين وقلبٍ من أرق ما خلق الرب، لا أنسى أمل وهي تزرع كل يومٍ وردةً في شرفتها حين الصباح، وقتها أرى العاملين يمرون غير عابئين باهتمامي بها عبر الشارع يلهثون إلى العمل، حينها كان كل اهتمامي ينصب عليها بينما يبدو العالم ذابلاً وترويني نظراتها للورود، وكلما سألتها عن عدد سنوات عمرها تشير مسرعةً بأصابعها فأجده نفس عدد ورود شرفتها اليانعات.

بلغت السابعة سألتها وهي تناغي الورد: "لمن تغرسين كل هذا يا صغيرة؟"؛ فترد كما يحكي النغم على صفحات الماء، تغمغم بصوت غير مفهوم، أعتقد حينها أن أمها هي من تنصحها بذلك، نفس الغيامات التي تُظلل جزءً من ستائر شرفتها، تظلل المدينة كلها ولربما الكون.

جاء اليوم الذي اشتكى فيه لقلبي عاشق وما أكثر عشاق أمل حين الغروب وحين تشرق الشمس، وما أجمل أمل حين تدير ظهرها للجمع منصرفة تحدث مرآتها، لم أنسَ كل هذه الأيام ولا ذاك اليوم حين كانت تحدث أحد المعذبين المقهورين

في السابعة صباحًا عبر النافذة، طال حديث أمل وليته لم يطُل، وطال غيابها وليتني لم أتابع سر الغياب، أمل التي يُحكى عنها هي نفسها التي وهبت حياتها تداوي النفوس، ولولاها ما تهاوت النفوس.

وفي يوم محاكمتها يومها اجتمع الحشد يبكون واستعان بي قاضيهم لأشهد عليها.

قلت له: "كيف أشهد؟"، "كيف أشهد وليتني كنت هي؟"، "منذ متى وهي تسكن قلبي؟"، ولا حياة لي وأنا ألمس بسحرها كل طاقة العالم المهدرة، فليعدمني القدر إذا ما حكم على ماضٍ تفاعلت معه كل هذا التفاعل بالعاطفة.

حقيقة أم زيف

ظل يرسل رسائله الإلكترونية عبر موقعه الإلكتروني بعد وفاته، كانت رسائله على شبكة التواصل الاجتماعي غريبة وغامضة، ظن صديقه المقرب إليه أنه لم يمت وهو يؤمن بقدراته الخارقة، فلقد أخبره يومًا أن الإنسان بعد موته يمكنه أن يعود للحياة، وقد بنى ظنه هذا على تلك الرسائل والمنشورات، كان يريد الحصول على نوبل حين الوصول لهذا الاختراع، اعتقد صديقه أنه فعلها رغم رحيله، وبناءً على اعتقاد صديقه هذا، ارتاح الكثير من المقربين إليه والذين عقدوا عليه آمالاً كبيرة في العلاج والتداوي من الأمراض المستعصية، كان ارتباطه الروحي بالكثيرين كطبيبٍ متمرسٍ في علاج المرضى بالطاقة الإيجابية، وتماثلهم للشفاء على يده في فترة زمنية وجيزة أذهلت العلماء في مجالات العلوم الأخرى التي تحاول علاج نفس الأمراض بالعقاقير الأقل في الجدوى والتدخلات الجراحية غير مضمونة النتائج، الحالة الوحيدة التي لم يستطع علاجها هي لشخصين كانا يتواصلان عن بعدٍ، عن طريق قدرة العقل كانا هاذين الشخصين منعزلين تمامًا وهما رجل نجح في الاتصال بابنة شقيقته التي لم يكن ليفهمه غيرها لحد مزعج جعلها تتأثر بهذا الاتصال حتى بعد وفاته،

الموضوع لم يتوقف عند مجرد رسائل فيسبوكية ومنشورات غريبة أثارت جدلاً واسعاً لا سيما وقد حاول هذا العبقري الراحل أن يثبت هويته بشتى السبل، واضعاً بذلك إمضاءً ببصمة إصبعه تحت كل منشور موضحاً أن تلك الإمضاء لا يمكن تزويرها مطمئناً بذلك كل من شكك في عدم وجوده حياً، فأضحى الموضوع ينتشر بطريقة سريعة وعشوائية ويثير التساؤلات في الناس حتى شَغلهم عن الكثير من الأحداث التي تمس حياتهم المباشرة وألهاهم عن الأحداث السياسية المضطربة، لكنه أثر أكثر ما أثر نفسياً على أطفاله الذين لم يتجاوزوا بعد المرحلة الابتدائية، خاصة ابنه البكر الذي وصل به الحال للعزلة ومقاطعة المدرسة وعدم الحديث مع الآخرين حتى فقد القدرة على الكلام مما دفع الأم للسفر بأبنائها حيث تسكن عائلتها القروية المتمسكة بالجذور والمواريث القديمة والأرض، فأضحت الأسرة التي تقودها زوجته الأرملة بعد وفاته في عزلة لا تطيقها خاصة وأن الاطفال سئموا الطقوس الغريبة المبهمة البدائية لعائلة الأم، كان كل هدف الأم أن تنأى بهم بعيدًا عن ملاحقة الإعلام والصحافة التي أثار بعضها الموضوع لأغراض مالية بحتة، والبعض رفض الحديث عن الموضوع أو نشره لأسباب خاصة، رفضوا الإفصاح عنها للعامة من الناس، لكن هالة الغموض التي تحيط الموضوع اتسعت بسرعة مذهلة

وأضحت حديث الساعة، مما دفع الشرطة للتحقيق والعلماء يظهرون في وسائل الإعلام يطمئنون الناس ببعض النظريات والتخمينات والفروض القابلة للبحث، والبعض أخذ منحنى الجدية والبحث العلمي عله يصل إلى إجابات عن سيل الأسئلة المبهمة، سارت الأبحاث كثيرة تتسابق لنفض الغموض، لكنه حين اختفت رسائل الرجل ومنشوراته خفضت نبرة الحديث عنه بل ومرت الأيام ونسي الناس الأمر، والبعض أكدوا أنه كان مجرد خرافة من خرافات الزمان استطاع البعض أن يكسب منها مكاسب أرادوها، لكنه كان حقيقة مطلقة، وضللوا العامة من الناس حتى أنه لا أحد منهم يعرف هل حقيقةً أم زيف؟!.

الزمن الهارب

تتبعتُه في الشارع بينما كان يهرب ويتخفى مني، فما كان مني إلا الإصرار والعزيمة، التقينا مرةً واحدةً في العمر هناك حيث كنت أشرب فنجان قهوتي في مقهى إعتاد الذهاب إليه، سمعت قصصاً عنه قبلها قالوا أن هناك امرأة فاتنة وقع في حبها هناك، سمعت الكثير والكثير ولم أسمع عنه سوى همساً أحياناً تعمدت سماعه، وفي أحيان أخرى أبديت عدم الرغبة، لكنه في الواقع كان شيئاً يثير اهتمامي ويحرك الفضول في نفسي، حين واجهني على الكرسي فجذبه وجلس لم يرَه غيري، تحدث معي بينما رأيته مجرد خيال كالدخان، تحدث بخفة وألفة كأنه يعرفني وتجاوبت معه على أساس سابق معرفتي بأمره، أمر ما غريب وقتها كان في المقهى ولاحظته حيث لم يلتفت أحد وهذا ما أشعرني بالارتياح، غاب يتكلم بشغف وكأنه يفرغ حمولة زمنٍ قاسٍ في نفسي، وحين بادرته بالأسئلة هرب، شعرت حينها بشيءٍ ثقيلٍ في صدري، ثمة شيءٌ ما جثم على رئتي ولكن هذا لا يهم، فالأهم هو ما تركه فيَّ من سلوكيات لم أستطع التحرر منها، أشعر أنني أصبحت عبداً لتصرفاتي، عبدٌ يتصرف تصرفاتٍ تزعجه ولا يرتاح إلا بتنفيذ أوامرها؛ لأنها قادرة على أن تعكر صفو حياتي أكثر مما أتخيل، هكذا

أملَت عليَّ نفسي أوامرها، فبحثتُ عنه في موقف الأتوبيسات علـه هنـاك، لا أعـرف مـن أخبرني ولكـن الأمـر كلـه ينحصـر بالانصـياع للمشـاعر، حاولـت كـبح جمـاح أهـواء نفسـي لكنهـا قهرتني، وأبقتني طريـد الهـوى والعـذاب، أمسـكته أخيراً وهـو يختبئ خلـف شـجرة، عـدت بـه للمنزل في سـيارة أجـرة، ركبـت بجـوار راكبـين بـديا لي وكأنهمـا صـديقان منـذ أمـد، بينمـا كنـت أشـدد عليـه قبضـة يـدي وأسـترق بمسـامعي كلماتهمـا الخافتـة، فهمت منهما أنهما يتحدثان عنه، ركزت معهما فوجدت إشارة يد احدهما تعطيني إيحاءً بأنه قد مات، طالبتُ سائق التاكسي بالوقوف بسرعة على جنبات الطريق، توقف الرجل في ذهول وكأنـه يتردد في نصـحي بعـدم النزول، وهنـاك في قلـب الظـلام ألقيـت بـه على جانـب مـن طرقـات الليـل، ثـم عـدت مـن حيـث دفنته.

للجدران آذان

طرق باب منزلنا، فإذا بشقيقتي كعادتها أتت لزيارة والدتي تحمل في جعبتها روائح جدران حارتها من قصص تتناقلها السنة نساء الحارة، أعشق تلك القصص وهما تتبادلان الحديث همساً كل ليلة، وكأي ليلة يثير حديثهما فضولي، أتخفى وأتصنت عليهما، فيحاولان إخفاء بعض الكلمات والتفاصيل عني، في تلك الليلة دار الحديث بينهما عن ليلى، ليلى هي جارة شقيقتي وكل حكايةٍ بين نساء الحارة تدور حالياً عن ليلى، ليلى كانت مدللة أبويها وابنتهما الوحيدة، كان حلم والدها أن يراها بالفستان الأبيض قبل أن تتوفاه المنية، لكن ملك الموت لم يمنحه تلك الفرصة.

بعد وفاة الوالد لم يعد للأسرة مصدر دخل، عملت والدة ليلى كل ما بوسعها لتحقيق حلم والدها، حتى أتمت الإبنة تعليمها ودخل بيتها الرجل الذي دعت والدتها الله به، أصرت والدة ليلى على أن تكون شقة الزوجية بجوار بيتها، وبالفعل نفذ العريس مطلبها ليفوز بقلب ليلى.

مرت الأيام وأصبح لزوج ليلى عمل ومصدر رزق في التأمينات حتى بلغ مرتبه أضعاف ما كانت تحلم به أسرة ليلى.

عاشت ليلى حياة سعيدة مع زوجها تحسدها عليها كل بنات الحارة، شهد المحل الذي كانت تشتري منه ليلى ملابسها وملابس اطفالها رواجاً كبيراً نظراً لتردد كل نساء الحارة عليه، كل واحدة فيهن تريد أن يدفع لها زوجها لتشتري نفس خامات الملابس التي تستخدمها ليلى ونفس المفروشات المستوردة، حدثت صداقة بين ليلى وصاحبة المحل، والسبب أن ليلى لاحظت تغييراً في زوجها، فقد صار يأتي متأخراً عن موعده، تغيرت معاملته معها، كانت السيدة صاحبة محل الملابس ناصحة ومتدينة وحافظة للأسرار وكتاب الله وهي دائماً ما توجه ليلى لأن تغض النظر عن الموضوع حتى تتأكد من ظنونها، لم تفصح ليلى لوالدتها بشيءٍ مما حدث، كي لا تثير شجونها وقلقها عليها، لأنه كلما حدث شجار بين ليلى وزوجها تنصحها والدتها بأن تترك له المنزل وتأتي بأبنائها الأربعة إليها.

في يوم من الأيام تحدث زوج ليلى إليها بصراحة، وقال لها أنه سيتزوج عليها من ثانية، علا صوت ليلى، وعلمت والدتها بالأمر، وبعد محاولات مريرة معه وسط تهويل للأمر من والدتها أصر الرجل على الزواج.

وفي زيارة غير متوقعة من ليلى لصاحبة المحل جلست ليلى تشكو وتبكي لسيدة المحل.

قالت لها الشيخة سيدة المحل: "يا ابنتي هذا شرع الله لماذا تبكين؟".

ولكني تحملته كثيرًا وعشت معه على الحلوة والمرة؟ .. ماذا ينقصني كزوجة ليتزوج عليّ بأخرى؟.

أنصحك أن لا تطلبي منه الطلاق حتى ولو تزوج عليكِ بأربعة.

أضحت ليلى منكسرة الخاطر محروقة الفؤاد، والنسوة يتحدثن عن خطبة الرجل، ورغبته في الزواج على ليلى من راقصة.

همست والدتي بتعجب في أذن شقيقتي: راقصة؟!

أيوه يا أمي والله راقصة في كباريه، تفتعل الشرف وتشتري ملابسها من نفس المحل الذي كانت تشتري منه ليلى ملابسها، وقالت للشيخة صديقة ليلى، صاحبة المحل: "هاتيلي أحسن فستان عندك".

فأتت لها بأجمل فستان في المحل ، قالت لها: هذا لا يجديني "أريد فستان مسخسخ".

استغفر الله العظيم يا رب، ومن أين عرف هذه الراقصة أو وجدها يا بنيتي؟.

يقولون ليس لها أهل وتدعي أنها "بنت ناس"، وكل من يسألها: "من أين لكِ بهذه العباءة المطرزة تخبرهم أن شقيقها إبتاعها لها من أرقى مكان في القاهرة".

ولقاها فين دي يا بنتي ولا لفت ودارت عليه إزاي؟!.

همست شقيقتي وقالت بصوت خافت: "كانت متزوجة قبل أن تلقاه، قالت له أنها طلقت من زوجها السابق لأنها لم تنجب منه، وماذا عساها تفعل كمطلقة سوى أن تحتال عليه بتلك الحيلة؟! .. لفت ودارت على زوج ليلى .. وجدته غني ومبسوط .. وقع الرجل في حبها، وبررت له طلاقها بعدم الخلف".

لكنها سيدة حرباء، وليست سهلة، ولطالما قرر زوج ليلى الارتباط بها إذاً فلقد وجدها شريفة، لأنها إن كانت امرأة رخيصة ما كان ليتجوزها، والله أعلم يا بنيتي!.

لقد سمعت النساء يا أمي يقلن أنها مخادعة، ولقد خدعت بالفعل الرجل.

وماذا بعد؟

بعدما تزوجها يا والدتي إعتقادًا منه بأنها لن تنجب .. حملت منه، وأنجبت أحمد، "وأحمد هوا اللي هنا واللي هناك"، وكأنه لم ينجب سوى أحمد.

وماذا عن ليلى؟!.

بالطبع ليلى طلبت الطلاق، ولم تأخذ بنصيحة السيدة صاحبة المحل وسارت وراء تحريض والدتها حيث قالت لها اطلبي الطلاق منه وتعالي معي للعيش بكرامة ومن الغد سيأتيكِ الأفضل منه بمليون مرة.

ليلى تركت شقتها؟!

نعم، تركت له الجمل بما حمل وقالت: "كرامتي"، وراحت في كنف والدتها بعدما ترجاها الرجل قائلاً: "يا ليلى خليكِ معي وأنا سأعطيكِ كل حقوقك"، قالت له: "لا .. طلقني وأصرت على الطلاق".

هي مخطئة يا بنتي؛ لأنها غادرت بيتها، وكان عليها الإستمرار مع زوجها حتى تخرب على تلك الراقصة زيجتها منه.

نعم، ولكن لا يجدي الندم.

ثم بالكاد سمعتهما تهامسان؛ فقالت إحداهن للأخرى: أخفضي صوتك، للجدران آذان، ليلى تعرفت على رجل زوجته متوفية ومعه طفلته اليتيمة، الناس كلهم علموا بالخبر، وتخلى عنها ذلك الرجل بعد لقاءات عام بأكمله، بعدها اتصلت ليلى بزوجها وقالت له أنها يمكنها مسامحته والعودة إليه .

جاءها منه اتصال الثانية فجرًا: "يا ليلى، خلاص فات الميعاد، لم يعد ينفع".

استغفر الله العظيم يا بنيتي .. بلاش كلام عن الناس، ربنا يسهل لكل حي.

-هجرت ليلى منزل والدتها للبحث عن لقمة خبز لها ولأولادها طالما لم تتحملهم والدتها بمصاريفهم الباهظة، وحيث غادرت ليلى حارتنا؛ لم ينته الحديث عنها بعد..

حرمان

وقفت المراهقة الجميلة في النافذة المطلة على الحديقة تنتظر قدوم والدها الذي لن يأتيَ لأنه كان قد رحل قبل عام، افتقدته كثيراً هي ووالدتها واسترجعت الذكريات مع الأمطار التي أخذت تهطل خلف زجاج النافذة فوق عشب الحديقة وأوراقها الذابلة وثمارها العطبة – كانت أجمل الحدائق في مسابقة محلية ولكنها سرعان ما أمست خاوية على عروشها بعد وفاة والدها- غادرت الفتاة النافذة والدموع تملأ عينيها، وضعت خدها على وسادة الفراش، وتمددت على سريرها لتصحو في منتصف الليل تقريباً على لمسات يد والدتها وهي تمرر أناملها الحنونة على خديها، أيقظتها بهمسة أمومية، وتبعتها من باب الحجرة إلى الخارج، أخذتا تركضان معاً في الحديقة، وخلف آخر شجرة مطلة على غابة هبت الرياح، حملت بأناملها الصغيرة كومة مما تبقى من أوراق الشجر الساقطة تحت قدميها، وألقت بها في الهواء في حركة مرحة عبثية، اتضح لها أن آخر ورقة حملتها الرياح هي آخر حلم كانت تحلم به، كان قد كتب عليها بقلم والدها .. (أحبك يا صغيرتي).

من الصفر الى الصفر

قصص يرويها الشوق والحنين لذاك القمر الحانق بلياليه الطوال التي غابت عنها راحة البال وتلك الروابي اليابسة الصفراء، وبقايا أوراق في ذاكرتي تلك التي سجلها فارسي تحت قمر بحجم رأسي بليلة اللقاء الأخير، طالت الأيام وبعدت عني على امتداد طريق أسود يلفه الشوك حيث راقبتها وهي تغرب، اشتاق لتلك الحروب التي خاضها ذاك الفارس الذي خطفه سلك رفيع من أسلاك السماء، اشتاق لرائحة سترته التي أضحت سرابًا وثيابه التي تشبه السندباد، اشتقت إليكِ أيتها الدماء وما غطيتهِ من حد سيفه أكثر من أي وقت مضى لأنكِ تذكرينني بليالي الحرب التي خاضها بحد السيوف، والتاع شوقًا لنور البدر على صخرة لوثتها الطيور، وعشبٍ، وبقايا ماءٍ وطعام، كان فارسي مغواراً شديد البأس لا يهاب الحرب، كنت أتتبعه على جوادي على طريق أشبه بطريق الحرير، يخطف جواده طريق ممتد للأعالي بسرعة تشبه البرق فتنحني الأفرع وتتطاير الأوراق من على أغصان الأشجار.. الصندل والغاب وضجة العصافير والعزلان، هي قصة بامتداد ألفي شهر وثلاثة ليالي، خضنا خلالها حروبًا عدة ليشدني الحنين لصوت سيفه الهامس والمزعج أحياناً، الفضي اللون، البراق، حروبه تلك لن

يذكرها الزمان من بعدي، كان يخرج معي على طريق لقصور بعيدة قائمة على تلال رسمها الغيم تحفها ضفاف النهر، وأشجار نبق تكفينا من قرصات الجوع، وخشونة الحياة، كنت أشرب الماء من خفٍ ذهبي له لم يشأ أن يلبسها في ذاك الزمان، لأسقط كورقة من أصل شجرة تشتاق لكل تلك الليالي والأيام، حياة الضيق والفقر، حياة اليأس والأمل والنضال، الشوق للانتصار والفرح، حياة لم يشُبنا شك بأنها ستزول، الآن آلت لحال غير الحال أقف على سريرٍ لي من الحرير أتطلع لنافذة تطل على سماء قدر يجمع الشرق والغرب، أدونها بمشاعرٍ تفيض من الحزن والأحاسيس على صفحة تبتعد أظنها سراباً، تلوح بالأفق الغارب اللحظات التي أحرقت رموشي بلهيبها، ويعذبني الماضي بما يحويه من حنين، تعذبني كلمتان أحداهما كنّا، والأخرى كان، وقائع تمنيتها، لطالما رأيتها وحدي في بساتين الواقع، لتتحقق كلها ولكن في الخيال.

أرشيف المستقبل

أبحث عن جواب تعييني في أرشيف المستقبل الذي سطوت عليه من شباك أحلامي فيحبسني بين ثناياه لأعود نادمة على سطوي وكثرة أحلامي.

لاحظت حزني عجوزٌ من الزمن الغابر فقالت لي في أسى: "معلش حبيبتي كلنا بيحصلنا كدا وزيك زي غيرك".

لم أعرها اهتماما، لأنها لربما لم تكن سوى واحدة من مسئولي الحكومة تقمصت شخصية عجوز لتحيدني عن أحلامي، حيث سمعتها في جوف قلبها وتردد قائلة: "يلا بلا قرف خليها تحل عن دماغنا".

وهنا وقفت مع نفسي، واحتضنت الأمل من جديد، ومضيت به على صرير رياح شتاء هذا العام القاسي، لعالم غير عالمي المعهود، وهناك بنيت من جديد أحلامي.

عالم الواحد والصفر

التقت به على نافذة صغيرة تطل على عالم الواحد والصفر، يتبادلان الحديث كتابةً من نافذة على شبكة الإنترنت، تحدق جاهدة بعينيها الجميلتين اللتين اضحتا بحجم ثقب الإبرة إذا ما قورنت باتساع بحور العالم الذي قتلها من شدة جهلها بكل ذرة فيه، وها هي تمر عبر مأزق منتصف العشرينات كماًّ لا كيفًا، تبادله حديثًا كان يجب أن يدور بينهما قبل ذلك بكثير، حيث يطرح عليها السؤال الذي يظن أنها اقتنعت بإجابته بعد فوات الأوان وهو الذي كان قد نصحها بالفراق ليعود بثقة المطمئن سائلاً: "ألم اقل لكِ أنكِ ستنسيه؟".

فأجابته: "أجل، لقت سبق وقلت لي ذلك"، فرد قائلاً: "إذاً كنت قد نصحتك، ولم تسمعي نصيحتي، والآن عرفتِ مدى صحة كلامي".

فكتبت: "والآن لو طلب قلبي سأعطيه إياه".

تنهد خلف الشاشة هامساً: "إذاً هو محظوظ".

سألها إن لم تتواصل معه بطريقة غير الدردشة بالكتابة على موقع التواصل الاجتماعي، ليفاجأ بإجابتها

بـالنفي، إذاً هي لـم تتواصـل معـه سـوى بالكتـابة عبر شـبكة التواصل الاجتماعي، وهذا ما أثار حيرته فلِمَ لم تحبه هو بدلاً من ذاك المتعجرف إذاً؟، وراق لـه أن يكتب لها: "ما هـو الحب الحقيقي في نظرك؟"

فكتبت: "كأنك تعرف من تحب منذ ميلادك لترى كل العالم فيه كما تحب العالم لأجله وتسمع دقات قلبك لمجرد سماع اسمه".

فسألها: "هل بالإمكان أن يكون الحب الحقيقي لإنسان لم نره؟".

فكتبت "ممكن .. لا أعرف".

فكتب لها: "إذاً أحبك".

فكتبت له: "لكنك لم يسبق لك أن رأيتني".

فأصابته صدمة، لكنه تدارك الموقف، وكتب لها: "أحببت لأنني شعرت بروحك وأحببتها".

فما كان منها إلا أن كتبت له: "شكراً" .

فكتب لها سؤالاً أخيراً بائساً: "ما هو سبب حبك له إذاً؟".

كتبت: "إذا عرفت سببًا للحب؛ فاعلم بأنك لم تحب".
انتهت المحادثة .. " 12:00 AM".

انقطع النور فانقطع الاتصال بالإنترنت؛ فوضعت بطارية جهاز اللاب توب؛ لتستمع إلى أغنية أم كلثوم "فات الميعاد"، وكأنها تسمعها لأول مرة..

الشاهد الجاني

الشرطة تتورط في البحث والتنقيب .. مجهول يهدد رئيس المباحث .. لا شهود على الجريمة .. تتولى النيابة التحقيق مع أبرياء جذبهم كلب رئيس المباحث عنوة من الشارع .. تكشف كاميرا خفية عن الجاني ذات ليلة وهو متلبس على مسرح الجريمة .. القاضي ينطق بالحكم: "اعدموا الكلب".

تقع أكبر مجزرة في تاريخ البلاد، ويعلن الحداد ثلاثة أيام، ليحمل الثوار علمهم الجديد يتوسطه صورة كلب.

المجنون

المجنون أفقدني صوابي، جعلني أبحث عنه في الشارع بين وجوه المارة، ثمة شيء ثقيل جثم على قلبي، أراه قريبا جداً مني لربما داخل روحي، رأيته أكثر من مرة في لمحة عين، بين ثنايا الطيف وفوق شعاع النور، رأيته ومضات تظهر وتختفي، كدت أفقد واقعيتي، لا أبحث عن وجوه وأجساد بقدر ما أقلب مشاعر المارة المتأججة في الهواء والفضاء المزدحم بالعاطفة في محاولة مني لتعويض نفسي فقدان روحه، وجدته أخيراً هو نفسه يمر نحوي عبر الشارع؛ فكان أول لقاء بيننا، تيقنت بعدها أن المجنون كان فقط داخل عقلي؛ فتابعت البحث.

قصة على مكتب .. ورسائل للجوري

استيقظت من نومي فإذا بالصباح لم يطل بنوره بعد .. نهضت كعادتي لأبحث عنه في كل حجرة؛ فإذا به منكباً على طاولة ومعه ورقة يكتب قصة، أخبرته أن لا وقت لدينا للكتابة فالزهور العطشى تنتظر منا قطرة ماء، قلت له متحججة لا حياة لنا إذا ما لم نسق الزرع، ثم إني لا يمكنني النزول وحدي للحديقة في هذا الوقت الباكر مما يتوجب عليك مرافقتي، أخبرني بكسل ودلال أنه لن يذهب؛ فدفعت إليه بمزيد من الضغوط والإلحاحات برفق لأحثه على تنفيذ مطلبي؛ كي لا ينسل إلى صدره إصراري؛ فييأس ويمل، أخذت أدفع بقبعتي الخوصية في رأسي، ثم رتبت فستاني الكلاسيكي المعقد أمام مرآتي، وانا أتابعه من خلفي، حيث أرى صورته من الخلف معي في المرآة، تململ قليلاً وحرك رقبته يميناً ويساراً ثم قال: "هيا"، حملت الأدوات وسقاية الورد وحمل هو بخاخة المبيد الحشري واجتهدنا السير، في البداية وقف للحظات قبل أن يخطو أول درج لأسفل الحديقة، وبعد نظرة عميقة منه للسماء، والماء، والأرض .. وقفنا خلالها ثواني معدودة .. تنهد بعمق، وأكمل الخطى، وأنا فقط أتتبعه؛ فكل ما يهمني هو مجيئه معي، بعد بضع خطوات مررنا على الجوري والياسمين الثمل بالندى

اللـذين لـم أشـعر بهمـا في وجـوده، تبادلـت معـه حـديثًا فارغـاً دونمـا انقطـاع وهـو يتجـاوب بكلمـاتٍ معـدودة، افتقـدنا خـلال سـيرنا هـذا الإحسـاس بـالزمن ونسـينا خطى أقـدامنا فاضحينا سحابتان تضببان طرقـات مجهولـة إلى ان غابـت الحديقـة عنـا على مرمى البصـر فصـرنا في ارض عـراء وشـمس متوهجـة .. تـاه صوته عني لبعض الوقت، ثم تنبهت لعدم وجوده، لم أجد له أثـراً في المكـان مـن حـولي، كـدت أبكي، بـل تماسـكت، وناديتـه بصـوت عـالٍ فلـم يـرد، انتـابني إحسـاس بالرعـب، تجمـع شـتات من الغرباء حولي، وحين سـمعوا مني بعضاً من قصتي .. تمنيت منهم المسـاعدة، ولكـن أخـذتهم الشـفقة للحظـات، وتعـاطفوا وتجـاوبوا معي خلالهـا، ثـم سـرعان مـا انخرطـوا في شـئونهم، وتجـاهلوني أجـد السـير وحـدي، فكنـت أسـمع أحـدهم يقـول: "المسـكينة لا تريـد أن تغـادر المكـان دونمـا سـيدها" .. شـعرت بوحـدة وخـوف؛ فحملـت فسـتاني مـن على سـاقي، وخطـوت بصعوبة، ثم سـرعان ما اطلقت سـاقي للريح دونما اشـعر بهما، فاجتزت الحديقة وهرولت إلى مكتبه لأجده منهمكاً في الكتابة في عـالم آخـر ولا يشـعر فيـه بـالآخر، وحـين لمحني نظـر إلى نظـرة طالت لبعض الوقت، ثم قال بنبرة تحمل الأسـف والتوبيخ: "أما زلتِ هنا؟!".

قلت: أجل.

قال: "ويحك لما لم تسقِ الزرع؟، ثم أنكِ إذا أبقيتِ الزهور عطشى، فأي حياة لكِ هنا؟!".

قلت له أعلم. ثم وقفت قليلا أمام مرآتي ألملم جدائل شعري التي انفرطت على كتفي، وأعدت من جديد ترتيب كل شيء. ثم حملت حقيبتي المعبئة بالأدوات والآلات على كتفي إلى الحديقة دونما أقص عليه ما كان أو أتفوه له بكلمة.

وفي الحديقة جثوت على ركبتي أمام حزمة الجوريات المتعانقة، فاحتضنتها برفق، وأخذت أبكي. ثم بللتها بقطرات من الماء وسقيت الياسمين كذلك، وقضيت بعض الوقت في التنظيف لأقضي اطول فترة ممكنة في وحدتي، ثم عدت منهكة الى درجات السلم، فارتميت عليه، وجلست مطرقة رأسي لأعلى، تأملت الشمس في السماء، بدت وهي تتوه في الأشجار حاملة أوراقها وأعناقها المزركشة، يتخللها رقة الجوري، وبعض القطع الملونة من ذاكرتي، مستمتعة بجمال اللوحة تلك التي بدت لي أجمل من الخيال، وهو لا يكف عن كتابة قصصه عنا، ومراسلة الجوري حتى أضحى اهتمامه بتلك المراسلات على حسابي، رغم أنه عبر فيها عن حبي الجنوني له.

مأمورية

في يـوم مـن أيـام عملي كباحثـة في معهـد بحـوث الإرشـاد الزراعي ذهبـت إلى مكتـب مـدير العمـل لأكتـب اسـمي في دفتر الإمضاءات، وكالعادة سألني المدير: "تنزلي مأمورية؟"، وكالعادة أجبتـه: "وقتي مـزدحم!" .. قـال أن لا اختيـار لي في هـذا الأمـر الإجبـاري، فلمـاذا إذاً يسـألني؟ .. لا أعـرف، روتين ممل، شـعرت بالرتابة واللا جديد، إذن ليس لي خيار.

هو:أيـوه دي مأموريـة والمأموريـة زي مـا إنتي عـارفـة تكليـف.. فهمتيني؟.

أنا: ماشي يا دكتور، إيه المطلوب مني؟.

هو:مطلـوب منك تجمعي الاسـتمارات دي وتيجي يـوم الأحـد مخلصاهم.

أنا:ولكن اليـوم الخميس وهذا عـدد كبير، وأنـت تطلب مني أن أذهـب للحقـل الإرشـادي والحقـل المجـاور لـه. وأن أسـأل اثنى عشـر مزارعاً ، وهذا صعب في ظرف أيام.

هو:حاولي..

أمـري لله، بمجـرد أن دخلـت حجرتـي حملـت حقيبـة أوراقي، وهرعت إلى الباب؛ فاستوقفني بابا.

بابا: على فين؟

أنا: بجمع استمارات استبيان.

بابا:منين؟.

أنا:من المرازقة، وكفر بحري، والمنشية الكبرى؟.

بابا:وإيه ورطك في مأموريات تاني؟! .. أنا مش قلتلك طلعي نفسك من الحاجات دي؟ .. تلفي فين على الفلاحين؟!.

أنا:بس دي مأمورية يا بابا "تكليف يعني".

بابـا:مش عارفـه تقـوليهم عنـدي ظـروف أو أي حاجـة يـا بنتي؟!.

أنا:الدكتور قالي ان الأمر إجباري، يعني مش بإيديا.

امتعض وجه والدي وقال: "طيب.. إستنى نازلين كفر الشيخ أنا وأخوكِ نجيب طلبات للبيت .. ناخدك بالمرة معانا على الطريق تجمعهم".

وأنا اخفي عليهما صعوبة الأمر، بالكاد حرك أخي محرك السيارة، وانطلقنا تتفحصنا أعين المارة عبر الطريق الريفي

العابر ببلدة المنشية الكبرى المؤدية لكفر الشيخ من مدينتي "قلين"، انطلقنا ورددنا أذكار المساء خلف والدي وتلى علينا دعاء السفر حتى وصلنا إلى المنشية الكبرى، وهناك بحثنا عن إسميين لشخصين يتوجب علينا أخذ بيانات منهما من تلك البلدة قاما بزراعة محصول القمح أحدهما حقل ارشادي والآخر حقل مجاور له، بحثنا عن الرجلين سائلين المارة عن إسميهما، وترجلنا كوبري صغير يفصل البلدة وسألنا كل من قابلناهم، لا أحد يعرف الرجلين على ما يبدو من اسميهما أنهما ليسا بتابعين للقرية وأخيراً اكتشفنا أن أحد الرجلين يحمل اسم شهرة غير الاسم المكتوب على الاستمارة وبعد ان درنا دواري عديدة باحثين عن منزل الرجل اكتشفنا أنه توفى منذ شهور، أما الآخر وهو المجاور له فيقع في بلدة بعيدة جداً بالقرب من بلدتنا "قلين"، ولا طريق مؤدي إليها، فتحتم علينا العودة لتلك البلدة التي تدعى عين الحياة البحرية .. ذهبنا للسوق واشترينا ما نريد دون أن تستوقفنا أحداث ما طرأت بإحدى البلدتين .. غض والدي وشقيقي نظريهما عن الذهاب إلى عين الحياة.

وبينما نحن عائدون رفعت سماعة هاتفي المحمول وتحدثت لصديقتي.

ترن .. ترن .. انتظرت "الكول تون" الحزينة أن تنتهي.

_ الووو .. سلمى.

_أيوه يا رنا.

_عملتي إيه في الاستمارات؟.

_خلصتها يا رنا..

_ازاي يا سلمى إنتِ معاكِ كام استمارة؟.

_أنا معايا أربعة عشر استمارة.

_عملتِ إيه طيب؟.

_بصي يا ستي، إنتِ تروحي للمرشد الزراعي في الإدارة الزراعية وهو يساعدك.

بالكاد سمعت منها كلمات، المرشد الزراعي .. يساعدك.

في صبيحة اليوم التالي شددت من أزري ورحت على باب الإدارة الزراعية، وهناك سألت الناس: "المرشد الزراعي بتاع القمح موجود؟".فأجابوني بنعم .. أحدهم أخذني الى مكتبه.

استقبلني المرشد بوجه عابس.

إنتِ الدكتورة رنا؟.

نعم، حضرتك عرفت منين؟.

إنتِ ليه تنزلي تسألي على المزارعين في المنشية الكبرى؟.

هل وصلك الخبر؟.

نعم، قالوا لي أنكِ نزلتِ لتسألي على فلان وفلان .. بصراحة غضبت، فأنا موجود هنا, تنزلي ليه؟.

مش أنا مطلوب مني أنزل يا بشمهندس؟.

هاتِ الاستمارات..

تفضل..

عبأناها بكل ما فيها من بيانات، وسلمتها جميعها في موعدها.

استغفر الله

كنت ساهرة كعادتي ليلاً أشاهد التلفاز بينما أقلب بعض القنوات قبل أن أغادر لأخلد إلى الفراش، لفت انتباهي قناة دينية وقد تطرق فيها مقدم البرنامج لوجهة نظره السياسية الخاصة، كانت حينها والدتي تتابع معي فدارت مجادلة بيننا في أمور تتعلق بأحوال البلاد والثورة حيث كانت تتفق في رأيها من وجهة نظر مقدم البرنامج وكان موالياً للنظام الحاكم، سرعان ما ملت والدتي الحديث الدائر بيننا وقامت لتأخذ قسطها اليومي من النوم حين علمت بانتهاء الجزء الذي يهمها من الحلقة وبدأت مرحلة تلقي الاتصالات من الجمهور ... راعني أصوات نساء باكيات شاكيات تستنصرن بالشيخ مقدم البرنامج وهو يحاول أن يبسط لهن أمور الحياة ويطلب منهن التمسك بمزيد من الصبر والصلاة، رفعت سماعة الهاتف وطلبت نفس الرقم على شاشة القناة فوجته مشغولاً، فتابعت وقد كانت الاتصالات مكثفة، ووضعني الكونترول تحت الانتظار، وأنا أتابع المتصل السابق لي وقد خاض في أمور تتعلق بالسياسة... سرعان ما امعض وجه الشيخ وقال: "استغفر الله يا أخي" .. "قل لا إله إلا الله"، وما لبث أن أعلن الكونترول انقطاع الاتصال حين قال الشيخ غاضباً: "رجاء من مشاهدينا

الكـرام .. أذكـركم بـأن موضـوع الحلقـة عـن عقـوق الوالـدين، لذلك وجب أن لا يحيد الكلام عن موضوع الحلقة الأساسي" .. وأرف يقول : " ومعنا اتصال آخر ان شاء الله"، فهمست بصوت منخفض عبر الهاتف فرد بحماس .. لا حرج في الدين .. لا عليك، وان شاء الله خير .. مسك الشيخ قلمه وهم بكتابة بياناتي... كم عمرك أختي؟ .. ما أسمك؟ .. ما شكواك؟ .. ثم سمعته يقول عبر سماعة الهاتف: "نأسف لانقطاع الاتصال... يبدو أن هناك مشكلة في الصوت .. ننتظر منكِ اتصال في وقت لاحق"، ثم أذيع خبر عاجل على شاشة القناة موثق بالصور، كان الغرض منه تكذيب شائعة عن قيام رجال الشرطة بسحل أحد رجال المعارضة في الشارع أثناء تظاهره السلمي، وكنت لا زلت أنتظر عبر الهاتف فسمعته يقول: "وهناك خبر عاجل على ما يبدو" .. فجأة ظهرت صورة الشرطة والرجل بين أيديهم مسحوباً على وجهه وسط بركة من دمائه.. وبعد أن تأكد الشيخ مقدم البرنامج من صدق الصورة قال: "رجاء لا تنشر مثل هذه الصور يا أخي" .. "بلغ الكنترول" .. "فهذه أعراض بشر"... "استغفر الله العظيم" .. "انقطع الاتصال" .. وأغلق الخط في وجهي، فضغطت بغير قصد على زر من ازرار الريموت كونترول فتحولت لقناة أخرى فوجدته نفس الشيخ يؤم بالمصلين.

النصيب

زعقت في والدتي وهي تصرخ قائلة: ايه أنت اتجننت وكنت بقول عليك عاقل؟!.

أنا: أنا ابنك الكبير والمفروض تعمليلي شخصية، هو انتِ مش كنتِ بتنتقدي الفلاحين علشان بناتك؟، دلوقت جايه تعملي زيهم؟.

والدتي: كده؟! .. بتعلي صوتك على مامتك؟! .. ماشي أنا مش هتكلم.

أنا: أيوه، لازم تعمليلي شخصية، شوفي الناس بيعملوا لولادهم إيه.

والدتي:هو إنت ليك في نفسك حاجة؟!.

تدخل والدي قائلاً: يوسف اعقل، ما تعليش صوتك على مامتك، عيب كده، ثم تتبعني والدي على مائدة العشاء التي كنت أحاول بلع لقيمات خبزها التي تشبه الكلمات التي تفوهت بها والدتي .. ذهبت والدتي إلى السرير وباتت تغالب دمعها .. جلست وحيداً مهموماً حتى منتصف الليل .. وضع أبي كفه على كتفي وقال: يوسف .. إذهب وإعتذر لوالدتك، هي

مهما كان مامتك، ما يصحش تنام زعلانه منك، مهما غلطت فيك، حاولت توضيح وجهة نظري له بهدوء دون جوى وسط اصرار منه على إعتذاري، فإعتذرت لها وذهبت إلى غرفتي، وبمجرد أن وضعت رأسي على وسادتي رأيت صورة نوره نصب عيناي رأيتها قادمة، وكأنها تشعر بي؛ فسبحت في خيالي، سارحاً كسرب طير لا يعرف وجهته .. نبهني صوت جرس الهاتف المحمول.

نوره:إيه أخبارك .. كلمت باباك؟

بصراحة كلمتهم.

وإيه الاخبار؟.

ماما مش موافقة.

ليه مش موافقة؟!.

علشان كانت عارفه إني بكلمك.

وإنت هتعمل إيه؟.

هحاول معاها مش هسيبك.

مش هتسيبني ازاي؟، وطنط لو أصرت على رأيها؟!.

اطمئني .. مش سايبك.

بـت ليلتي عاقـدًا عزمـي علـى خطبتهـا، وفي الصـباح اصطبحت بوجه شقيقي العابس المستنكر.

أنت فعلاً ناوي تخطب البنت دي؟!.

أيوه..

ايوه إيه؟! .. تخطب واحده كلمتها إزاي؟.

المهم إنها ما كلمتش غيري، وبعدين حرام عليك .. إنت مش بتعرف الحلال من الحرام؟!.

بدى على شقيقي اللامبالاة والاستخفاف بكلامي وقال: حـــلال وحـــرام إيـــه؟! .. بكـــره تنـــدم .. إنـــت موهـــوم.

جاء عمي في الليل لزيارتنا لإقناعي بأن الفتاة التي تتحدث مع الشباب مثل علياء يمكن أن تتحدث مع مئة شاب غيري .. وبعـــد أن اســـتنفذ كـــل محاولاتـــه معـــي هـــو ووالـــدي . قالوا: خلاص طالما إنت كنت بتراقبها ومهكر عليها الفيس بوك؛ يبقى أنت عندك تقنية واثق منها عننا .. قوم صلي استخارة، وروح شوف كده بيتها وأهلها ورد علينا.

ارتديت ملابسي الأنيقة كعادتي، وصليت الاستخارة وأخبرت علياء أني قادم لمنزلهم، وبمجرد أن دخلت منزل علياء فوجئت بأن الأسرة كلها خرجت لتستقبلني، كانت والدتها

تشارك والدها الحديث على العكس منا، فنحن يتصدر عندنا والدي كل الأمور مع غياب تام لوالدتي في كل المناسبات الرسمية كتلك، راعني كذلك مظهر شقيتها التي ترتدي البنطلون وملابسها غير المحتشمة، ولم يروقني الوضع صراحة .

عدت إلى بيتي وقصصت على والدي ووالدتي كل ما حدث، وهما يصغيان إلي باهتمام كبير، ثم عرض علي والدي أن يأتي معي هو ووالدتي لخطبة فتاة أخرى تروق لهم، فأخبرته أنني لا أنوي عقد خطبتي لأي فتاة كانت، وسأسافر للعمل في الخارج.

عقدت العزم على السفر.. جلست على سريري وحيدًا ليلة سفري، وقد حزمت حقيبتي .. في يدي هاتفي الجوال اتأمله وقد غاب صوته بعد أن توقف نبضه.

غداً ستقلع الطائرة في العاشرة صباحًا من المطار، يتوجب علي النوم جيدًا؛ كي استيقظ في الموعد المطلوب، وفي الصباح جاءني اتصال هاتفي من الكفيل بتأجيل سفري لمدة شهور، وفي تلك الليلة حضرت كل أسرتي وإخوتي في حالة ابتهاج؛ سعداء ببقائي معهم، خاصة والدي الذي كنت زراعه اليمنى .. احتضنتني والدتي وبكت .. جففت دموع عينيها بكفي،

و طبعـت قبلـة علـى جبينهـا، ووعـدتها أن أتـزوج الفتـاة التي ترتضيها.

ذهبت انا ووالدي ووالدتي واتممت خطبتي عليها.

حظيت بدعوة من والدتي بينما خسرت الفتاة التي لن احظى بمثل حبها.

مرمر

أتأملكِ من بعيد .. أتابع خطواتك المرمرية .. هيئتك التي تشبه موج بحر عنيد .. أتابع تفاصيلك بلقطات تحتفظ بها ذاكرتي وأنتِ تخطين حذو الطريق .. خطواتك قصيدة سطرت بمنتهى البساطة كما انتِ بسيطة .. غريبة .. معقدة في الوقت ذاته .. فقط إذا ما تعمدت فهمك .. كم أنا مجنون بحبك .. أحببتكِ .. ألفتكِ حتى النخاع .. لكنكِ لستِ من تريدها أمي .. أمي تنهرني بحبك .. تنهرني بإهتمامي المنصب على برائتك .. وهي كوالدتي تأبى أن أتزوج إلا بما تريدها .. أما أنا فأردتك حيثما وأينما كنتِ .. لا أطول ولا أقصر منكِ بكلمة أو حرف.. ولا أطمع في لقاءات بغيرك وسط صراع العقل المنحاز إليكِ .. تعرفني والدتي من عيناي كطفل لها .. تعرف أني أحبك وأحبها .. أحب فيكِ نقيضي، وأحب في والدتي تسلطها في شأن حبي لكِ .. أعترف بأني سجين .. سجين هواكِ؛ كما أني سجين تجاهلكِ وتسلط والدتي اللامتناهي .. لا أعرف كيف ترى الحزن من عيني في جدوال بمشاعرها، ورغم هذا كله ترفضكِ .. تملي على دائماً .. أن هذه راقصة .. وتلك ليست بطيبة .. وهذه طماعة .. أما انتِ فلا تريدك لأنني حبيبها الوحيد .. أعلنت حرباً على حبي لكِ.. لم ترتضي لي أمي أي خطبة سوى بالفتاة التي أرادتها ..

مرت شهور على خطبتي من فتاة أمي، وأنا أحاول أن أطيق روحها؛ فأطبق صورتها على صورتك، ولم يكن نتاج ذلك إلا مزيداً من الألم النفسي، والعذاب البشع.

أذكر تلك الليلة التي اختلفت فيها مع فتاة أمي، وبالمناسبة اسمحي لي ان اذكر اسمك يا مرمر فاسمك ليس باسم فتاة عادية؛ لأنكِ موسومة فراشة، وزهرة، وينبوع ماء في صحراء قلبي .. لم تكن والدتي تعلم أني وبعد ذاك الخلاف مع فتاتها قد قررت طلب يدكِ من والدكِ سراً في نفس اليوم .. هل تذكرين حينها؟. في صيف العام الماضي؟. كنتِ في زيارة لمكتب والدك؟ .. كنت يومها أرتدي بزة بيضاء خبأت فيها وردة حمراء جميلة تشبهكِ .. والدك يومها كان شديد الإعجاب بي، أما انتِ فكنتِ تبتسمين في خجل .. استقبلني والدك استقبالُ راق لي، وأحسست صراحة بالألفة .. أخذت رقم هاتفك يومها وتحدثنا ليلاً .. لما لم تخبريني حينها بقبول أو رفض والدك على طلب خطبتكِ لي منه يا مرمر؟! .. أصررت أنا على ان اسألك السؤال المباشر وسط تجاهلك وتنكرك وادعائك عدم فهمك لأسئلتي غير المباشرة .. عاندت أنا رغبتي الملحة في نفسي في غير المباشرة كمسألة كرامة، وآثرت أن اوجه لكِ السؤال مباشرة فلم تجيبي .. خفق قلبي .. مرت سنة ما بين السؤال والإجابة .. بعدها أنجبت طفلي البكر من فتاة أمي .. أردت لو أعيد عليكِ سؤالي

مـن جديـد متطلعـاً بفضـول عـن الإجابـة .. سـألتكِ .. قلـتِ لا أذكـر.. بل تـذكرين .. بل وأنـا من سـيعيد الإجابة على مسـامعك في كل مرة .. أنـا واثق من أن الـرفض كان بإرادتكِ ورغبتكِ .. لـم يكن أبداً لـوالدكِ أي إرادة أو دخل فيه.

اللقاء الأخير

حين كان الجنود يتمردون على الحرب لأنها من وجهة نظرهم انتهاك لحرمات شعب وأرض ليس من حقهم سلبها .. ظلمة السجن لم ترحمه.. لوعة الفراق كذلك، وكلمة حق أمست كالغصة في حلقه .. كم نصحته أن يكف عن تمرده وأن يحارب الأعداء لكنه كان رجلاً صاحب قرارٍ لا يتزحزح، ظل يراسلها من سجنه سنوات مقابل مبلغ كانت تدفعه للسجان.

اشتدت الحرب وحمى وطيسها؛ فكانت أجمل ليلة تلك التي عانق فيها النور بعد هزيمة جيش بلاده المعتدي .. زادت سعادته حين تخيل عناق حبيبته بعد فراق دام سنوات عدة .. سجد على الأرض وقبل تراب الوطن، وهام على وجهه ليبتعد عن محبسه ظناً منه انهم سيعدوه له ثانيةً .

لم يصدق مروره بالقرى .. قرى بلاده التي يعشقها؛ ولم يقلل من فرحته أنها نكست الأعلام بعد الهزيمة، وأخيراً وقف بالقرب من شجرة كان قد اتفق مع محبوبته أن تنتظره عندها.. دام وقوفه ساعات ولم تأتي بعد .. يلوح في الأفق طفل يتجه صوبه وكأنه يعرفه .. لم ينتظر منه سؤالاً ولا حتى جواباً بل

سأل الطفل عن حبيبته فأشار له الثعلب الصغير بإصبعه؛ فأردف يجري وهو يجري خلفه.

تتبعه في غرفة مظلمة وكأنها مقبرة بعدما نزلا على درج ترابي تحت الأرض .. فتح الطفل تابوتاً صغيراً، ما ادهشه حقاً هو رسائله التي ملأت التابوت عن آخره، بدت له وكأنها وضعت فيه للتو.. تكلم الطفل لأول مره قائلاً: "أهذه لك؟" .. أومأ برأسه وأجاب بنعم، وفي ذهول لمح خيالات من جوانب الغرفة سرعان ما انقضت عليه ووضعت القيود في يديه.

لم يكن يعلم ان آخر لقاء له مع محبوبته هو يوم إعدامهما معاً لاتهامهما بالخيانة العظمى للوطن، لتمريرها أخباراً عسكرية منه إلى صفوف العدو، أعدما معاً رمياً بالرصاص، وظل يوم إعدامهما يوماً مأثوراً؛ كتب عنه شاعر كبير في مطلع قصيدته: "يا من هانت عليه نفسي، كيف سلبت مني روحي بحبٍ، والتقينا فكيف كانت نهايتنا".

التقى بعدها مذيع تليفزيوني شهير على القناة الوطنية مع الشاعر كاتب قصيدة الرثاء في الحبيبين سائلاً اياه عن سبب حزنه عليهما وقد خانا الوطن؛ فرد عليه وقد اغرورقت عيناه بالدمع قائلاً: "لا تنسى أنني أول من كتب نشيد وطني لبلادي."

حبال الغسيل

لازالت تعتقد أن الأشعار التي يكتبها لم تكن سوى لها، ولم تشك لحظة في أن يكتب لغيرها، كما لم يتزحزح اعتقادها في جمالها وقوة سحرها وجاذبيتها، هي ليست فقط بنت، ولكنها ترى في نفسها درة .. تنشر الغسيل، وتنفضه، وتحلم بكل أحلام العالم، وهو فتى أحلامها العجوز، الساحر، الشاعر، الذي يفيض بكلماته رقة، وعزوبة؛ وإلا لمن يكتب الكلمات إن لم تكن لها؟!.

هي لا تنسى هيام الجميع بها، حب جارها المراهق الذي تعتقده تافه، حيث إعتاد الوقوف لها في النافذة، بدا كالفزاعة بشعره الأشقر الخشن الطويل، وعينيه الواسعتين الزرقاوتين، يتخيلها في نافذتها المغلقة وكأنها ماثلة امامه.

هي كذلك لا تذهب او تجئ مع بنات سنها إلا وحكت لهن عن حبيبها العجوز الذي طلب من والدها الزواج منها، كذلك لا تتوانى عن لفت أنظار كل من يستمع لتلك القصة إلى رد فعل والدها عليه إذ قال له مازحاً"ماذا جرى لك يارجل أنها لأصغر من بناتك؟!" .. "أنت حقاً مجنون" .. عرف تلك القصة ورددها حتى طوب القرية، وغبارها، وهواءها؛ كما أعادوا على

مسامعهم رد فعل والدها، وهي بذلك تراه بطلاً وتفخر به امام الجاهلات، لكنها لم تخبر مخلوقاً بسر ذلك الشاب الطموح كما نعته أبواها وهما يتحايلان عليها لقبوله، وتنام وتحلم باليوم الذي يأخذها والدها معه في العاصمة حيث المدنية البعيدة، وحين علمت بسنوح فرصة تلوح في الافق، حين دعى الأدباء والدها لحضور ندوة كبيرة في العاصمة؛ رقص قلبها للقاء فارس أحلامها العجوز.. لم تنم الليلة بل ظلت تحملق في سقف الغرفة .. تخيلته وهو يمسك بيدها في الندوة ويقبلها .. يلقي تحت قدميها اشعاره .. بينما ملابسها التي غسلتها تلك الليلة في ذاك الصباح كانت على حبال الغسيل لا زالت مبللة بماء المطر فتوسلت الى والدها كي يأخذها معه .. لم يمنحها والدها بعض الوقت لترش قطيرات رزاز من عطر زجاجتها المخبئة تحت وسادتها على فستانها، بل لاحقها بكلماته العصبية العجولة بأن تسرع في لبس حذائها الضيق وفستانها الذي لم ينشف بعد .. وفي العاصمة جرها والدها خلفه ممسكاً بيدها، وهي تحملق يميناً ويساراً في عجب المدينة؛ فهذه أول مرة يطأ فيها كعب حذائها المدينة .. تقارن بين نفسها والفتيات في شوارع المدينة، وتعقد المسابقات لملكات الجمال في مخيلتها أثناء السير .. وهناك في القاعة الكبيرة تبحث عنه بين وجوه الحاضرين .. تسمع صوته وهو يعانق والدها .. يطرق اذنيها

برقـة وعذوبـة صـوت حبيبهـا العجـوز .. يخفـق قلبهـا .. نفـس الصـوت الـذي سـمعته في التلفـاز، بـل ورأتـه بـالوان بشـرته الحقيقيـة وشـعره المصـبوغ خلافـاً لمـا كـان يزينـه لهـا تلفازهـا "الأبـيض × اسـود"، لـم يعرهـا أي شـخص مـن الأدبـاء أدنـى اهتمـام، لـم يلتفتـوا حتى لجمالهـا، ولا لأنوثتهـا، ولا حتى علقـوا على فسـتانها الـذي كرهتـه من اول نظرة لهـا طلت بهـا على تلك المدينـة .. ألقـى الشـاعر الفـارس العجـوز قصـيدته المفعمـة العشـق؛ فنبض قلبهـا مع كل كلمـة قالهـا فيهـا حتى انتهى منهـا؛ فصفق الجميع لـه، فيما همست لوالـدها برغبتها في الرحيل .. فعادت لتعصر وتنفض وتنشر وتغسل الملابس من جديد على حبـال الغسـيل بـنفسٍ منكسـرة تشـوبها ريبـة وبقايـا تمـرد، مـا لبست أن اسندت كوعها على جدار الحديقة القصير وانهمكت في بكاء مريـر حـين تـذكرت صـفعة والـدها لهـا عنـدما وصـلته وشـاية عـن قصـة ذلـك الشـاب الأشـقر المراهـق .. علقهـا والـدها على الحبال كما تعلق الملابس.

اكتئاب

منذ متى وهو متغيب عنا؟ .. بل قل منذ متى وهو على حاله المرثي له هذا؟ .. هكذا دار الحديث بين الأبوين بالمنزل مشيرين في حديثهما هذا الى ابنهما الذي وقع ضحية لبراثن سيطرت عليه لا يعرف الى أين سيمتد مداها، لكنها نابعة من سنوات طويلة من أعماق حزنه ونفسه المضطربة، وعدم احتواء من حوله له، فلم يعد يعتق رقبته الاختناق، ولم يعد فنجان قهوته المعتاد يؤنس وحدته، هو الآخر ابتعد عنه بمسافات بعد أن كان صديقه الوفي الوحيد، استمع المسكين لخطاب أبويه لكنه لم يعبأ به، وحاول أن يهرب ببصره عبر النافذة لكن الألم ازداد حدة، حتى بلغ ذروته وهو يسحب جسده مبتعداً عنها، وبالكاد يسحب أنفاسه ويطردها، ثم جلس على اريكته بلا هوية ولا هدف، شارد الذهن، يتردد في مسامعه صوت اشقائه وهم يطرقون بابه مازحين، فازداد اضطراباً وانزعاجاً، وانتابه احساس بالإحباط حيال صيحاتهم المتكررة، وهو يردد في حسرة وأنين "ما الذي على فعله وقد جربت كل الأدوية؟" .. "لقد عانيت واشتكيت واشتكت قدماي من ذهابي وإيابي متردداً على الطبيب ولكن في كل مرة يفشل الأمر"، ووقفت أمه المنهمكة في أمور المنزل ومصاريف الأسرة تنظر اليه بعجز وأسى

حين ارتمى تحت قدميها يشكو مرارة الغربة وحسرة الأيام، وهي تقول له ملوحة بيدها حتى كادت تخترق رأسه "ما الذي ينقصك يا بني؟" .. "لديك كل شيء في الحياة ولم نحرمك من شيء يوماً ما" .. "ما الذي جنيته انا ووالدك المسكين غير أننا وهبنا حياتنا لأجلك أنت وأشقائك؟" .. "يجدر بك أن تنظر لمن هم أقل منك شأناً"، كانت كلماتها تخترق رأسه كعيدان ثقاب مشتعلة، وتمتم قائلاً .. ماديات .. ماديات .. هل الحياة ما هي إلا طعام وشراب ومال .. ليتني كنت جزءاً من الماديات، وأخذ يتقهقر من أمامها حتى غاص في بركة من برك الاكتئاب حالكة السواد، لم ير فيها إلا بصيص نور من أوهامه، ولم يشعر فيها برأسه ولا حتى بقدميه .. فكر ملياً أن ينهي حياته لكن إرادته كانت أقوى من ذلك، وذهب للطبيب في خطوة إيجابية إن لم تكن عديمة الفائدة .. يصف له الطبيب الدواء هو نفسه الذي عانى به سابقاً ولكن بقناع جديد، سأله الطبيب عن سبب مجيئه، فأخبره بعدم جدوى علاجه السابق الموصوف، فسأله الطبيب عن ما إذا كان قد أمتنع عن تعاطي حبات العلاج يوماً ما، فرد عليه بالنفي؛ مذكراً الطبيب أنه لا شيء سوى الاهتمام بالماديات في الحياة .. ما من أحد يهتم بمشاعره، كما لا صبر لأحد لسماع شكواه، ثم أردف يقول لطبيبه: "أتذكر أنك كنت قد نصحتني بالتفاعل مع البشر وقلت لي أن التفاعل من شأنه

اكسابي خبرات تمكنني من حل مشكلاتي؟"، "ولكن أين البشر؟!"، "أنا وردة في كومة قش"، كم اشعر بحواجز وازمان تقدر بسنين عمري بين مشاعري وإحساس البشر من حولي .. بعدها غادر عيادة الطبيب منتظراً دقات عقارب الساعة السابعة مساءاً ليلتهم بقليل من الماء حبات العلاج الجديد، مرت أيام شعر بعدها بقليل من التحسن وبوادر أمل، وازداد النشاط لديه فجأة وهو يودع أيام الاكتئاب الخاوية على عروشها ولياليه التي كانت تصرخ وهي تغني، بينما تحدثه أعماق نفسه أنها استراحة وسيعود، وحتماً سيعود في دائرة مغلقة دون جدوى.

المعمعة

في زقاق ضيق من حارة مزدحمة تقع جزارة الحاج رضا الملقب برومي لتحتل مكاناً مميزاً بذلك تحت بلكونة الحاجة شلبية، ألقت عليه التحية ودخلت صوب سلم جحرها _أقصد عمارتها_ ، بينما كان رومي سابحاً في خياله على كرسيه أمام جزارته حيث مل الجلوس بدون اقبال الزبائن الذين يقبلون على شراء الأسماك واللحوم البيضاء عوضاً عن لحوم جزارته الأغلى سعراً، استغلت شلبية الموقف واتخذته فرصة للتقرب منه ومواساته في وحدته، وشلبية امرأة ارملة تسكن في نفس الطابق مع ابنتها الشابة المطلقة، بينما كان لرومي أطفال كثر منهم الصغار والكبار في المدرسة وغير المدرسة، وكان رومي لا يكف عن ابداء رغبته في الزواج على زوجته، وكان يجد أكثر ما يجد من راحة في حديثة عن مسألة الزوجة الثانية مع شلبية، وشلبية كثيراً ما وفقت رأسين في الحلال، وكانت ادرىً أهل مكة بشعابها، وأكثر ما كان يثير قلقها ابنتها الشابة الجميلة قليلة الخبرة التي كانت تعاني الانطوائية بعض الشئ، رأت شلبية من رومي فرصة للم عرض ابنتها بعد الطلاق، ولمحت لرومي بذلك في طيات كلامها مرات عدة، بينما كان رومي يتظاهر بعدم فهمه القصد منها، فيرد عليها مصطنعاً اللامبالاة بكل برود، مادحاً

زوجته التي لا تعارضه اطلاقاً في الزواج بثانية حسب قوله عنها، وفي اليوم الذي همت فيه شلبية بالنزول الى الشارع هروباً من حر الصيف حيث حجرات بيتها الضيقة، خرجت بصحبة ابنتها لتستكمل حديثها مع رومي وبينما يتجاذبان أطراف الحديث، علت فجأة صرخة تلتها صيحات مدوية .. تدافع الجميع نحو الشاب شهاب بائع السمك وهو ممسك بسكين في يده، ويده الأخرى عالقة بقميص شرارة بائع الطماطم، يعلوا جبين شرارة مجرى دموي صغير .. امتلأ المكان بالصراخ والعويل .. تسمرت شلبية في مكانها ممسكة بيد ابنتها، في تلك اللحظة بالذات ندبت حظها في أعماق نفسها، فلم يكن لهذه الضجة أن تكون، ولكن شاء القدر أن تقطع حديثهما مع رومي، وقد كانا قد تطرقا لحديثٍ مهم كانت ترى فيه أملاً خاصة بعد اصطحاب ابنتها معها لرومي لأول مرة، اندفع رومي وسط كومة من البشر، وعلى اثر هذا العراك نقلته سيارة الإسعاف مع الكثيرين من أبناء حارته الى المستشفى .. ذهبت شلبية قاصدة المستشفى لزيارة رومي الذي كان أحد المجروحين من ضحايا الحادث .. أخذت معها سبت به بطتان وفطيرة واصطحبت ابنتها صوب المستشفى الذي يرقد فيها رومي، وهناك أمام سرير رومي في عنبر المرضى وضعت حمولتها ثم نظرت الى ابنتها

بجوارها كي تحثها بالرد على سلام رومي عليها، فهمست ابنتها في اذنها قائلة: "لا .. لا يا أمي .. لم يعد يصلح للزواج مني".

الطبخة الأولى

تشيع في الأرجاء روائح القلقاس بالمكسرات بالحبهان والأرز بالزبيب، كانت هذه الطبخة الأولى لسماح. لم يسبق أن سمحت لها أمها بالطبخ، استأذنت الخادمة من سماح لتذهب وتحضر طفلتها من المدرسة، فسمحت لها لتتركها وحيدة في المنزل .. ثلاث عيون مشتعلة على الموقد .. الأكل اضحى ناضجاً .. فتحت سماح القرآن على سورة يوسف لتستمع لآيات الذكر الحكيم .. كانت وحيدة لكنها تتمتع تلك الأيام بوحدتها فعزاؤها انها اصبحت مخطوبة .. ولكن أين العريس؟ .. فجأة صوت رجل يخترق المطبخ .. صرخة عالية وزعقة وصوت تكسير أطباق؛ ذلك ما سمعه الجيران في تمام الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم وشهدوا به أمام المحكمة بعد أن أفتتح القاضي الجلسة .. كانت ام سماح تجفف دموعها بينما الخادمة تحاول تصبيرها، بينما تقف سماح أمام القاضي بالأسود من شعرها حتى أخمص قدميها .. ضرب القاضي بمطرقته .. بين ثنايا الجلسة تسترق الصحف الأخبار.. تلمع أضواء الكاميرات .. يتصفح الوالد الأنباء في جريدة صبيحة اليوم التالي ليسلي بها وحدته في الغربة .. يقرأ الخبر المحمل بالفاجعة .. أبو سماح ذلك الرجل الذي قضى غربته وحيداً في خارج الوطن لجلب

قوت اسرته المكونة من زوجته وابنته الوحيدة سماح .. تتصدر عناوين الصحف بالبنط العريض العنوان التالي: "سماح تشوه وجه عريسها بعد ان تلقي بحلة الماء المغلي في وجهه" .. ويقرأ والد سماح في حديقة منزله جريدته التي اعتاد شرائها ليتابع اخبار الوطن خبر الحكم على ابنته .. صفحة الجرائم .. سقط الرجل ممسكاً بذراعه اليسرى .. فهرول إليه الجنايني وحمله وأجلسه على الأريكة .. ساعده في ان يلتقط بعض أنفاسه .. أخبره بأنه يحمل اليه خبر ما تحويه لفافة ورق أودعها ساعي البريد له عبر سور الحديقة .. سلمها لابنه الذي كان يقف بجواره ليقرأها .. قرأها الطفل وأخبرهما انها دعوة لحفل زفاف .. جذبها أبو سماح من يد الطفل وفتحها .. قال الجنايني لأبي سماح الف مبروك ثم طلب من طفله أن يشتري لهم مشروباً لهذه المناسبة السعيدة .. دق جرس هاتف ابي سماح الخلوي وأخبرته زوجته عبر سماعة الهاتف بلزوم مجيئه في ظرف يوم وليلة .. وبمجرد أن نزل المطار لاحقته الكاميرات وتصدرت صوره عناوين الأخبار، لكن بعد حفل زفاف ابنته ظلت معه صورة فتوغرافية واحدة تؤنسه في الغربة احتفظ بها في ذاكرته رغم أنها كانت تملأ كل الصحف .. فستان عاجي ، وورود بيضاء، ودموع فرح ..... وقناع كان يعلوا وجه العريس لأن وجهه كان م- ش- وهاً.

يوم الوداع

في صباح يوم شتائي عصيب .. يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من نوفمبر تخيلتنا شجرة اقتلع جذرها الذي كان يغذينا بالحياة، وبراعمها لا تزل بحاجة لمزيد من قطرات السماء .. صار والدي يتيم المشاعر وصرت اشعر بالمسئولية تجاه الجميع .. في ذاك اليوم الشتائي الممطر .. يوم تشييع جثمان جدتي .. والدي افتقد درة حياته وصلة رزقه بالسماء .. اليوم يائس كأشجار الخريف .. المشاعر بدت كأحطاب غابة جمدها الجليد .. أخذت أرقب الوجوه الشاحبة القادمة الينا للتعازي كلهم كانوا من أقرب المقربين .. النساء تصرخن والرجال مطرقو رؤوسهم دامعين .. الجميع اصطفوا في صالة منزلنا التي اتسعت لكل الوافدين يتوسطهم والدي الذي عرفته من خلال عينيه الدامعتين بأنه الوحيد الذي بدا شارداً لا يعرف خياله وجهةً .. وددت حينها لو اكتب الكثير من الكلمات لكن يدي بدت عاجزة كعرجون نخل يابس .. وددت لو ابكي لكن الحزن تحجر في قلبي وتسمر الدمع في عيني .. عقلي يقول أن البكاء ينسي وأنا لا أريد النسيان .. تلك اللحظة فصلت بين الميلاد والموت وكأنهما حدثا في ظرف ساعة .. في عمق تلك اللحظة الفارقة الواعظة أخذت انظر للوجوه واتأملها بعجب ..

لماذا يصرخون؟ .. إذا كان فراق جدتي ألهب قلوبهم لوعة وحسرة فلماذا لا يرفعون ايديهم للسماء من أجلها ويدعون؟ .. جاءت السيدة المكلفة بتغسيل الموتى .. نهرت النساء وزعقت فيهن فصمتن جميعهن وكففن الدموع .. السماء انهمرت بالسيول وهذه دلالة على الرحمة .. واندفع المشيعون نحو الشارع يدفعون طاولة عليها جسد جدتي .. زجوها في سيارة ضخمة كتب عليها سيارة تكريم الإنسان تتبعتها سيارة إسعاف وعشرات السيارات التي سارت خلفهم تحمل المشيعين نحو البلدة حيث مقبرة جدتي .. إنها بلدتها التي ولدت فيها وترعرعت وافتقدت والدها وتيتمت .. والدها الشيخ المقام له ضريح ولأجله تحتفل البلدة بذكرى وفاته كل عام .. جدتي لم تكف يوماً في حياتها عن التنويه إلى معانتها في طفولتها اليتيمة .. كانت حياة جدتي بعد رحيل والدها كما وصفتها على لسانها جمرة من الجحيم .. وفي النافذة وقفت لألقي عليها الوداع الأخير .. ودعتها بدعوة .. ولم يكن بإمكاني تقبيل وجهها كما فعلت النسوة .. وذهبت جدتي لترقد بجوار والدها من جديد.

حضرة السعادة

السوق واسعة والمكان براح ليس له بداية ولا نهاية, والمتسوقون هنا قادمون لشراء اغلى السلع, البائعون يريدون أن يبيعوا ويبتاعوا.

احدى البائعات تدعى سعادة وفي السوق تجلس البائعة سعادة بجوارها بائعة اخرى صديقتها تدعى رحيمة, وبائعة السعادة كانت كل يوم تخرج الى السوق وتبيع ما لديها من سعادة, لا لأنها لا تريد السعادة, بل كانت في امس الحاجة لان تستبدلها بالمال.

سنحت لها الفرصة وجاء المشتري من ابعد نقطة في المحيط يبحث عن قطرة سعادة, وبدلاً من ان تروج سعادة لبضاعتها أخذ صاحب المال يهتف في السوق وينادي عليها، اخيرا وجدها تتلألأ من شدة السعادة التي بين يديها.

بعد مساومة طويلة ومريرة حصلت سعادة على مال يكفيها لملايين السنين ملكة متربعة على العرش, وحصل صاحب المال على سعادة أبدية.

في يوم من الأيام أمرت الملكة سعادة كاهن القصر بأن يهبها السعادة, وكان الكاهن لا يعتذر لها عن مهمة، قالت له اريد ان أعيش حياة سعيدة, فقال لها انتِ ملكتنا ويمكننا اسعادك بشتى السبل, قالت: "وما الحل اذا؟"؛ فنصحها بان تتزوج رجل لديه من السعادة قدر المال الذي لديها, ارسلت الملكة السرايا يهيمون ليل نهار ليبحثوا عن ذلك الرجل الذي وصفه كاهن القصر للملكة, واخيراً وجدوه بعد عناء, واخبروه بمدى اهمية الأمر واقتنع بالذهاب معهم, قابلته الملكة بالمال الوفير وانحنت تقديراً وتبجيلاً له, وعرضت عليه ان يظل ملكا في القصر مقابل الزواج منها، لكن الرجل قال لها انه يبحث عن سيدة فقيرة وسعيدة مثلة ولن يستطع بذلك البقاء معها, غضبت الملكة غضباً شديداً وامرت بحبسه, ولكنها رأت أن في ذلك قسوة وتعنت منها وظلم, فأمرت بإحضار صديقتها رحيمة من السوق, لكن رحيمة كانت قد توفاها الله وصعدت روحها الى السماء.

شعرت الملكة بالوحدة والتعاسة فتركت القصر وذهبت لتشتري من سوق السعادة بكل ما لديها من المال, لم يكن البائعون يروجون لبضاعتهم, ولكن هي من كانت تنادي عليهم, وبالفعل تخلت عن المال وتزوجت الرجل السعيد الذي سجنته, وعاشا سعداء للابد.

رب صدفة حبٍ ولا ألف ميعاد

جلسا يتأرجحان على ارجوحة الزمن ولا شيء سوى دقات قلبه وزخات خفيفة من مشاعر دافئة .. اشترى لها من قلبه بعض الكلمات الطازجة .. سبح بهما الوقت الذي تقابلا فيه صدفة .. ثم تنبه للزمن ونظر في ساعة يده وتذكر أن لديه لقاء آخر كان قد واعد به فتاة ثانية .. نظر في الساعة التي أشارت عقاربها نحوها .. انتبه قلبه لشعرها الثلجي الاشقر كالسحب .. بشرتها النقية كالماء الرقراق من حوله .. عينيها الزرقاوين كالسماء المطلة من خلف السحب .. نظراتها المختلسة كالطيور التي تظهر في الفضاء نصب عينيه ثم تختفي .. يتأمل كوفيتها الصوفية بلون أوراق شجر الخريف المنثور على بساط الحديقة الذي عزف على زركشات فستانها .. وتساءل في نفسه: "كيف اتفقت وتواءمت كل تلك الأشياء معها؟" .. هل يتعاطف الكون حيناً من أجل إيقاع رجل في حب امرأة .. لأول مرة يستكشف باب المصيدة ويدخلها بكامل إرادته .. يعترف بأن كلمة "احبك" هذه المرة قالها ليس ككل مرة ولكن بطعم مختلف، وبأن هناك حب ولد في العاطفة .. واكتشف سبباً للحب الذي كان يبحث عنه .. الزمان .. المكان .. الحظ ..

أخذ يستكتشف جمال الألوان في الحديقة لأول مرة رغم أنه اعتادها.

وردة وثلاثة عصفورات

التقت عصفورتان إحداهما أجنبية مهاجرة من بلاد الجليد والنار بأخرى محلية. أخبرتها الأجنبية وهما تتأرجحان على سلك كهرباء إيذاناً بقدوم الشتاء أنها أتت من موطن كله ثلوج حيث يتضجر البشر وأخبرتها عن قصة ذلك الفتى الذي يجادل أمه، أخبرتها العصفورة الأخرى كم هي حياة البشر جميلة رغم كل معاصيهم، قررت اثنتاهما بعدما استمتعتا بنهارٍ جميلٍ أن تذهبا إلى قصر الأميرة قبل أن تسدل ستائرها على عصفورتها الأسيرة في القصر حيث تقصدان زيارتها، كم تألمت العصفورة المهاجرة لتلك القصة المؤلمة، فالبشر اكثر الكائنات توقاً للحرية رغم أنهم قيدوا أنفسهم وسعدوا بتلك القيود وفرضوها على ذويهم من المستضعفين. أما نحن العصافير فنبيع لحظات سعيدة فنتبعد عن مواطن الطعام والشراب ونؤثر الجوع لنبقى احراراً للحظات، هكذا قالت لها صديقتها المواطنة وهما يجوبان بهو القصر، والأميرة واقفة تراقب غروب الشمس والعصفورتان تنتظرانها لكي تفسح لهما طريقاً عبر النافذة لكن الأميرة أخذت تبكي، ثم ألقت بوردة حمراء على شاب كان يقف بالأسفل واغلقت النافذة، فنظرت كلتا

العصفورتان للأخرى وقالت المهاجرة لصديقتها المحلية: هم أيضاً لا يحبون إلا وهم معذبين ثم طارت كلاً منهما إلى وجهتها.

المحتويات

مقدمة 4
المرآة وصديقاتي النجمات 5
في شرفة الورد 8
حقيقة أم زيف 10
الزمن الهارب 13
للجدران آذان 15
حرمان 21
من الصفر الى الصفر 22
أرشيف المستقبل 24
عالم الواحد والصفر 25
الشاهد الجاني 28
المجنون 29
قصة على مكتب .. ورسائل للجوري 30
مأمورية 33
استغفر الله 38

النصيب 40
مرمر 45
اللقاء الأخير 48
حبال الغسيل 50
اكتئاب 53
المعمعة 56
الطبخة الأولى 59
يوم الوداع 61
حضرة السعادة 63
رب صدفة حبٍ ولا ألف ميعاد 65
وردة وثلاثة عصفورات 67